Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 1, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (14) العدد (1) 2024

مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الرابع عشر، العدد الاول 2024

ISSN:2707-5672

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 1, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (14) العدد (1) 2024

الشخصيات السادومازوخية في رواية الكافرة لعلي بدر، قراءة سيميائية سوسيلو جية

أ.م.د.واثق حسن مجهول الحسناوي

Wathiq.hassan@mu.edu.iq

قسم علم الاثار، كلية الآداب، جامعة المثنى، المثنى، العراق

الملخص

إنّ رواية " الكافرة" لعلي بدر ،يمكن أن تُندرج ضمن روايات "الاكشن" السينمائية، التي تنماز شخصياتها بالتحوّل الزمكاني او السيكولوجي، شخصيات(المفارقة والاكشن)، وذلك من خلال ما لمسناه من تحوّل معظم شخصياتها وتقلّبها بين السادو والمازوحية، من الروايات المختلفة الأفكار والموضوعات، والسرود والاحداث والشخصيات، ومستويات السرد والرؤى؛ لما فيها من إثارةٍ نفسية لمشاعر وهواجس المتلقين او القراء، إذ تجعلهم اكثر انفعالا وتفاعلا وهم يتماهون معها، كما يتماهون مع سرد لفيلمٍ سينمائي مثير للدهشة والمتعة، فهو يبحث عن الجِدّة والإثارة والتشويق والمفارقة، والكناية والاستعارة والمفاجأة، والتنوع والتأرخة والتوءمة، وغير ذلك ، اذ نجده يتناول حياة الانسان داخل عالم متغير، متناقض المواقف والاحداث والأماكن والازمان، ومن هذا التوزيع السردي المتناقض او المتضاد لشخصيات الرواية، التي انمازت بسلوكيات سادو مازوحية، حاولنا في دراستنا النقدية هذه، كشف النقاب عنها عبر تقفي اثرها وتشخيص سلوكياتها وأسباب تقمصها وتحولها، معتمدين في ذلك على نظرية السرد اللسانية لفيليب هامون، والسردية الدلالية، فضلا عن تحليلات علماء النفس والاجتماع. وقد قسّمنا البحث قسمين ، القسم الأول : تناولنا فيه نبذة مختصرة عن رواية الكافرة ومؤلفها علي بدر، ثم التعريف وأنواع ووظائف الشخصيات الروائية ،والمفهوم الاصطلاحي ل" السادومازوخ" ، فضلا عن قراءة سيميائة سوسيلوجية لغلاف الرواية، اذ شكّل العنوان فيها ثيمة سيميائية سادومازوحية ايضا . ووسم القسم الثاني : بالشخصيات السادومازوخية في رواية الكافرة ، قراءة سيميائية سوسيولوجية سيكلوجية، مراعين فيه ما تقتضيه طبيعة البحث الاكاديمي من شروط الكم والنوع والجدة والعلمية، مردوفا بالخاتمة ثم جريدة الهوامش، فالمصادر والمراجع. ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الشخصيات ، السادومازوخية ،الكافرة ،علي بدر

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 1, 2024
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (14) العدد (1) 2024

The sadomasochistic characters in Ali Badr's novel The Infidel, a semiotic-sociological reading

Prof. Wathiq Hassan Anonymous Al-Hasnawi

Department of Archeology, college of arts, Muthana universitu, Muthana, Iraq

Abstract

The novel "The Infidel" by Ali Badr can be included among the cinematic "action" novels, whose characters are characterized by spatial or psychological transformation, characters (irony and action), and that is through what we observed of the transformation of most of its characters and their fluctuation between sado and masochistic, from novels with different ideas. Themes, narratives, events, characters, narrative levels and visions; Because it psychologically stimulates the feelings and concerns of the recipients or readers, as it makes them more emotional and interactive as they identify with it, just as they identify with the narration of a cinematic film that is surprising and enjoyable, as it searches for novelty, excitement, suspense, irony, metonymy, metaphor, surprise, diversity, historicity, twinning, and so on, as We find it deals with human life within a changing world, with contradictory positions, events, places, and times, and from this contradictory or contradictory narrative distribution of the novel's characters, which are characterized by sado-masochistic behaviors, we tried, in this critical study, to unveil them by tracing their traces and diagnosing their behaviors and the reasons for their reincarnation and transformation, relying on This is based on Philip Hamon's linguistic narrative theory, semantic narrative, as well as the analyzes of psychologists and sociologists. We divided the research into two parts, the first part: we dealt with a brief overview of the novel The Infidel and its author, Ali Badr, then the definition, types and functions of the fictional characters, and the terminological concept of "sadomasochism," as well as a sociological semiotic reading of the cover of the novel, as the title in it formed a semiotic sadomasochistic theme as well. The second section was labeled with the sadomasochistic characters in the novel The Infidel, a semiotic, sociological, and psychological reading, taking into account what the nature of academic research requires in terms of quantity, quality, novelty, and scientificity, followed by the conclusion, then the footnotes newspaper, and the sources and references. And from God, success.

Keywords: Characters, sadomasochism, infidel, Ali Badr

المبحث الأول :

المفاهيم والإجراءات الاصطلاحية :

-الكافرة:

روايــة مــن اصــدار دار منشــورات المتوســط، بطبعتيهــا الأولــى والثانيــة 2015 /2016 ، لتـروي لنـا قصـة الفتـاة فاطمـة، التـي كانـت ضـحية الجماعـات المسلّحة والمتطرفـة كقرينـاتهـا مـن الفتيـات الاخريـات فـي مـدينتها او مـدن أخـرى، اذ تعـيش فـي قريـة نائيـة داهمهـا المسـلحون و سـيطروا عليهـا مجبـرين عائلتهـا علـى خـدمتهم والعمـل معهـم، مـا تسـبب فـي قتـل والـدها بعمليـة انتحاريـة، بعـدها تزوجـت فاطمـة مـن شـاب يبحـث عـن تـاريخ وانتصـار عقائـدي مخيـالي مزيـف يتوّجـه فـي عمليـة انتحاريـة مـات علـى اثرهـا . وبعـد وفاتـه مباشـرة زوّجهـا المسـلحون الـى مسـلح اخـر –كعـادتهم التـي فرضـتها علـيهم عقيـدتهم المزيفة_وبعـد ان رفضـت الـزواج منـه، قـررت الهـرب الـى احـدى الـدول الاوربيـة بعـد الاتفـاق مـع مهـرب حـاول اغتصـابها فـي الطريـق الـى "بروكسـل" فـي محاولـة منهـا للـتخلص مـن ماضـيها المُرعِـب والمُعـتِم، تقمّصـت شخصـية (صـوفي) التـي تـذهب الـى البـار يوميـا لتعـود صـباحا مـع شـاب اوربـي وسـيم(ادريان) منتقمـة مـن زوجهـا الـذي قـام بعمليـة انتحاريـة مـن اجـل الـزواج مـن سـبعين حوريـة فـي الجنـة– كمـا كـان يعـده شـيوخه المتطـرفين– لإقناعـه بشـرعية العمليـات الانتحاريـة ، فقـررت فاطمـة/ صـوفي مضـاجعة سـبعين شـابا فـي أوربـا كـردّة فعـل علـى زوجهـا الـى ان وقعـت فـي حُـبّ احـدهم فـي علاقة معقدة ومشابهه الى قصتها (ادريان). (بدر, علي، 2015–2016)

-علي بدر:

يتقصـى الروائـي العراقـي "علـي بـدر" فـي روايتـه " الكـافرة " ((جـذور العنـف فـي الشـرق الأوسـط عبـر تقنيـات سـردية بارعـة ممزوجـة بلغـة شـعرية شـفافة هـذه المـرة، تلعـب الروايـة هنـا دورا مهمـا فـي استقصـاء وتحليـل للتطـرف فـي مجتمعاتنـا عبـر جسـد المـرأة، الـذي يتحـول الـى مدونـة يكتـب عليهـا الرجـال عـنفهم وقسـوتهم وحـبهم وخـذلانهم . هـذه الروايـة هـي روايـة الانوثـة المقهـورة ولكنهـا القـاهرة أيضـا، حيـث تكشـف عـن هشاشـة الثقافـة الذكوريـة وانسـحاقها ومـن خـلال هـذه الترسـيمة، ينتقـل السـرد سياسـيا وجغرافيـا مـن بغـداد الـى بيـروت حيـث الحـرب الاهليـة ومـن الشـرق الأوسـط الـى اوربـا حيـث التجربـة الاسـتعمارية.. حصـل علـى العديـد مـن الجـوائز وترجمـت اعمالـه الـى العديـد مـن اللغـات الأجنبيـة صـدر لـه بابـا سـارتر 2001 ، شـتاء العائلـة 2002 ، صـخب ونسـاء وكاتـب مغمـور 2002 ، الوليمـة العاريـة 2004 ، الطريـق الـى تـل المطـران 2005 ، الـركض وراء الـذئاب 2006 ، مصـابيح اورشـليم 2007 ، حـارس التبـغ 2008 ، ملـوك الرمـال 2009 ، الجريمـة الفـن وقـاموس بغـداد 2010 ، اسـاتذة الـوهم 2011.. و

هو افضل مَن يؤرخ في رواياته للتواريخ الهامشية والقصص والحكايات المهملة والتي يصوغها باطار ساخر، بل يُعد علي بدر من ابرز الأصوات في الرواية العربية التي ظهرت في السنوات الأخيرة ،وترجمت اعماله الى لغات اوربية عديدة... و تتضمن(رواياته) مجموعة من السجلات احداثها تجري في أوقات مختلفة وأماكن بعيدة عن بعضها البعض، يسلط النور على عالم من التعقيد والثراء والحوار المفتوح، ويحمل في الوقت ذاته خصائصه وديناميات الذاتية)) (علي بدر، 2015–2016)

وقد سرد الروائي "علي بدر" قصة فاطمة بلسان الراوي العليم، ومن خلال تتتبعنا لطريقة سرد الرواية وتوظيف الشخصيات، لمسنا ان الراوي فيها كان ملّما بكلّ تفاصيل الشخصيات، موزعا المهام عليها على وفق الاحداث بأسلوبه، وتقنياته السردية الخاصة، فهو الذي ((يعرف كلَّ شيء عن المواقف والاحداث المروية ..ان هذا النوع من الرواة يمتلك وجهة نظر عليمة ويتكلم اكثر مما تتكلم احدى الشخصيات وكل الشخصيات)) . (برنس، 2003، صفحة 30) فهو يعلم كلّ شاردة وواردة عمّا يجري من احداث لشخصياته المتعددة الاشكال والوظائف كما يسرد لنا سلوكيات المتشددين تجاه أبناء القرية، التي احتلوها وسيطروا عليها وانتهكوا حرمتها ،كما يصفهم لنا على لسان بطلة روايته فاطمة ،((انهم اكثر وحشية، انهم يقتلون الأطفال، ويغتصبون النساء ويفسدون الأبرياء. انهم يفرضون لغة غامضة صدقني ان الجانب الأساس في القتل هو الجدية الصارمة انه عمل مقدس بالنسبة لهم لا شيء اخر انه عمل مقدس اكثر قداسة من عمل النجار وعمل النحات والطرزي والطرش وغيرهم)). (علي، 2015–2016، صفحة 8) وبهذا نجد المؤلف قد وصف لنا ما يجري من احداث لشخصياته بصورة مفصّلة وعليمة، بخاصة ما يتعلق بالجماعات السلفية المسلّحة والمتشددة بلسان الرواي الضمني او بلسان البطلة، كاحدى شخصياته الرئيسة التي تدور حولها احداث الرواية كشخصية معقد ومستديرة تروي الاحداث، بحسب علاقتها مع الشخصيات الأخرى عبر التذكّر او الحوار الداخلي او الخارجي او الوصف، اذ انها جماعات (سادو ما زوخية)، فهي تمارس العنف ضد المختلفين معها، وفي الوقت نفسه تمارس المازوخية مع قادتها او ماضيها التراثي، الذي تعتقد بان ((الرضوخ للتقاليد والأعراف والاهتمام بالماضي وامجاده الا من الناحية النفسية، بمقدار درجة القهر التي تمارس على انسان العالم المتخلف، وبمقدار احساسه بالعجز والضعف والغلبة على امره اناء غوائل الطبيعة وعنت المتسلطين، وهي لذلك اوالية دفاعية إزاء تحديات لا قبل له بها تشل مبادراته في الحاضر وتسد امامه افاق الخلاص المستقبلي)) . (حجازي، 2005م، صفحة 103.)

– الشخصية :

الشخصية الروائية كشخصية السينما او المسرح ، ((لا يمكن فصلها عن العالم الخيالي الذي تنتمي اليه : البشر والاشياء، فهي لا يمكن ان توجد في ذهننا ككوكب منعزل، بل هي مرتبطة

بمجموعة من الكواكب وهي تعيش فينا بكل ابعادها بوساطة هذه المجموعة وحدها)). (اوائيله، 1991م، الصفحات 134- 135.) والشخصية الروائية ، تؤدي وظائفا متنوعة في العالم الخيالي، الذي يبتدعه الروائي، فهي((يمكن ان تكون بالتناوب او في الوقت ذاته عنصرا تزويقيا او العنصر القائم بالحدث او الناطق بلسان المؤلف او كائنا بشريا خياليا مزودا بكيفية معينة في الوجود وفي الإحساس وفي ادراك الاخرين والعالم)). (اوائيله, رولان بورنوف وريال، 1991م.، صفحة 143) ومنها شخصية البطل الذي تكون له ((سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية وممثل له صفات إنسانية، ويمكن ان تكون الشخصيات رئيسية وثانوية (طبقا بدرجة بروزها النصي) ديناميكية (حركية) عندما يطرا عليها التبدل او استاتيكية (ساكنة عندما لا يكون قابلة للتغير)، متسقة (عندما لا تتناقض صفاتها مع افعالها او غير منسجمة مسطحة (بسيطة ذات بعدين قليلة السمات، يمكن التنبؤ بسلوكها ببساطة) ، او مستديرة (معقدة ذات ابعاد مختلفة قادرة على اثارة الدهشة بسلوكها) ويمكن تحديدها أيضا طبقا لاتساقها مع الأدوار المعيارية (الممتهن لذاته المتبجح الساذج المرأة القاتلة ، الديوث ، او الأنماط (نماذج) او طبقا لاتفاقها مه مجالات محددة من الأفعال (الفعل الخاص بالبطل ، او الفعل الخاص بالشرير مثلا) او تجسديها لبعض العوامل (المرسل، المرسل اليه ، الذات ، الموضوع) . وعلى الرغم من ان مصطلح (الشخصية) غالبا ما يستخدم للدلالة على كائنات تنتمي لعالم المواقف والة لفاعل، والتي تمكننا من تحديد خصائصه . وفي الوقت الذي يتكشف به الفكر عن طريق الاقوال التي ينطق بها الفاعل كما يستكشف عن طريق فكرة او طريقته في النقاش، فان من الممكن الكشف عن الشخصية عبر احداث المروية، فانه يستخدم أحيانا للإشارة الى الراوي والمروي له .2- ممثل كائن ينخرط في فعل ما . 3- والشخصية طبقا لأرسطو هي الى جانب الفكر احدى خاصيتين يمتلكهما الفاعل او البطل ان الشخصية (الاخلاق) هي العنصر الذي يمكن على أساسه القول بان الفاعلين يمثلون نمطا او نموذجا ما انها عنصر ثانوي يتألف من سمات النمط (النموذج) المضافة للفاعل، والتي تمكننا من تحديد خصائصه وفي الوقت الذي يتكشف به الفكر عن طريق الاقوال، التي ينطق بها الفاعل كما يستكشف عن طريق فكرة او طريقته في النقاش، فان من الممكن الكشف عن الشخصية عبر اختيارات الفاعل وقراراته وافعاله وطريقة إنجازها)) . (السرديات، 2003، صفحة 30)

-الرواية السوسيولوجية :

يرى " لوكاش " ان الرواية النفسية ((تهتم قبل كل شيء بتحليل الجوانب، ويميزها سلبية البطل ووعي متحرك واكبر من ان يرضى بما يمكن ان يقدم عالم التقليد)). (تودوروف، 1997م، صفحة 110) والرواية –بوصفها، قصة بحث متفسخ عن قيمٍ اصيلة في عالم اخر غير –هي ((سيرة حياة

وعرض اجتماعي في الوقت نفسه . والامر الأكثر أهمية هنا هو ان موقف الكاتب من العالم، الذي يخلقه يختلف في الرواية عن الموقف من العالم في أيّ شكل ادبي اخر هذا الموقف يسميه جيرار " الفكاهة " بينما يسميه لوكاتش " السخرية) . (فوكو، ، 1997م، صفحة 111)

-السادية :

يصف علماء النفس والاجتماع السادية، بانّها ضرب من الجنون والقسوة والرغبة المفرطة في القسوة ، وهي ((الميلُ الى التعذيب في نفس المعذب، وقد دعيت بالسادية نسبة الى الفونس دي سا، وهو كاتب فرنسي اشتهر عنه هذه النزعة السادية، لفظة تطلق في معنى واسع عل النزعة الى القسوة بصفة عامة، اما في المعنى الجنسي فانه تعبير "الا لجولاجينا" | يشير الى العلاقة بين الهياج الجنسي والالم، وجانبها الايحائي هو السادية، وجانبها السلبي هو المازوخية، والسادية هي احداث الاثارة الجنسية او زيادة الاشباع الجنسي، بواسطة احداث الألم بالموضوع الجنسي، فهناك من الأشخاص من لا تلذ لهم العملية الجنسية الا اذا اوقعوا الأذى بالشريك بضربه او عضه او جرحه او ضغط أجزاء من جسمه بشدة .الخ)) . (الخازن، د. ت، صفحة 130) و السادية النفسية سلوك سسيولوجي ، تهدف الى ((السيطرة على الاخرين واذلالهم وتجميدهم واخافتهم وصدهم ووضعهم تحت رحمته تحقيرهم، تحطيم انطلاقتهم ومصادرتهم " فالسادي يجمّد الاخرين، كي يتمكن من التحرك، هو يعتقد ان اكبر اثارة ممكنة الاعتراف الحقيقي بالذات تحقيق الذات الأكثر عمقا، يحصل عليه من خلال التحقق من قدراته على انزال العذاب والمعاناة في الاخر، انها سيطرة تتميز بجبروت القدرة على إعطاء الموت تعاش كمبدأ ذاتي نرجسي، وهي تتضمن نوعا والنشوة القوة بدلا عن نشوة المتعة الجنسية بالإضافة الى السادية الفردية هناك سادية المؤسسية هناك مؤسسات تحكمها أيديولوجية سادية توجه تصرفات العاملين فيها وتفرض المازوشية والقهر على افرادها)). (حجازي ..، 2005، صفحة 191)

-المازوخية

المازوخية هي احداث الاثارة الجنسية بواسطة احداث الالام، ((والمريض بالمازوخية لاتلذ له العملية الجنسية الا اذا تعرض لضروب القسوة، وهي نسبة الى زاخر مازوخ، وهو قصصي نمساوي اشتهر عنه انغماسه في ممارسات جنسية مقترنة بتحمل الألم الجسماني)). (الخازن, منير وهيبة، د. ت، الصفحات 81-82) ومن هنا نجد ان مصطلح المازوخ (السيكولوجي) الذي يعني التلذذ بالتعذيب الجنسي القاسي ،قد تحول-سوسيلوجيا-الى مفهوم او مدلول الاستسلام والعجز والخضوع والقبول بمختلف أنواع القسوة او الإرهاب والتعنيف النفسي والجسدي، حتى صار سمة وعلامة وهوية

للشعوب او الجماعات او الافراد المستعبدين والمضطهدين، بسبب العجز واليأس والخوف الذي افرزته السادية المفرطة في المجتمعات المقهورة والمتخلفة او اللاواعية(القطعانية).ومن هنا اخترنا مصطلح(السادومازوخية) للشخصيات الرئيسة في رواية الكافرة وهو مصطلح منحوت، كونها شخصيات مورس ضدها السادية سيكلوجيا وسسويلوجيا، حتى تحوّلت فيما بعد الى شخصيات مازوخية ثم انتقلت الى مرحلة السادية بعد وقت ليس بقليل، ونتيجة العنف المفرط الذي مورس ضدها .

-سيمياء العنوان : -

لقد شكّلت العتبات النصية مرحلة مهمة في مجال تحليل النص الادبي، اذ انها ((تسعف الباحث او الناقد او المحلل في فهم النص الادبي وتفسيره وتأويله او تفكيكه وتركيبه، وقد ظلّت العتبات ميدانا خصبا للدراسات الشعرية في الفترة اليونانية مع تطور الشعرية الفرنسية والبنيوية اللسانية . ويُعد جيرار جنيت من اهم الدارسين الذين عمّقوا شعرية العتبات في كثير من مؤلفاته وخاصة في كتاب(العتبات)، اذ ان العتبات، هي التي (تمهد لنا الطريق، وتمدنا بمفاتيح تحليل الخطاب جزئيا او كليا ،لذا لابد من الاهتمام فيها تنظيرا وتطبيقا في ابحاثنا ودراستنا، فكلُّ شيء يدل في النص مهما كان هامشيا او زائدا)). (حمداوي، 2020 م، صفحة 5) و يُعد العنوان من اهم العتبات النصية في دراسة النص الادبي ،إذ هو((المحور الدلالي الذي يدور حوله مضمون النص وتبنى عليه دلالات ها السطحية والعميقة ، كما ان الأساس الموضوعاتي الذي يتحكم في بناء الاشكال الإبداعية واختيار الفنيات الجمالية والاسلوبية... وهو عتبة موازية ومحيطة بالنص الرئيس، فالنص هو العنوان وهو النص بينهما علاقة جدلية وانعكاسية او علاقات تعينية او ايحائية او علاقة كلية او جزئية.. لذلك أولت " السيموطيقا" أهمية كبيرة للعنوان، بوصفه مصطلحا اجرائيا ناجحا في مقاربة النص الادبي، ونظرا لكونه مفتاحا أساسيا بامتياز يتسلح به المحلل للولوج الى اغوار النص العميقة بغية استنطاقها وتأويلها، وبالتالي يستطيع العنوان ان يقوم بتفكيك النص من اجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية، ويضيء لنا في بداية الامر ما اشكل من النص وغمض)) . (حمداوي, جميل، 2020 م، الصفحات 6-8) فعنوان رواية" الكافرة" هو اسم فاعل وصفة مؤنثة وحجّة مغالطة مشفرة من قبل المؤلف، فهو علامة عتبية ومتنية في الوقت نفسه، استحوذت على الرواية بأكملها من حيث المدلول .اذ تضمنت صوتا ايقاعيا صرفيا دلاليا ونحويا بلاغيا، كذلك فصفة العلم المؤنث هذه صورة ايقونية لفتاة عربية مسلمة انتهك المسلحون المتشددون حرمة مدينتها، فعملية اختيار الراوي لهذا العنوان لم تأتِ من فراغ، بل بمقصدية بالغة من حيث صفة العلم لفاطمة والمدلول الايحائي المغالط لسمة الكفر التي اطلقها المتشددون جزافا وظلما ،وهي علامة استعارية كنائية

اجتماعية ونفسية وثقافية أيضا لما تحمله من احالات دلالية ومرجعية وثقافية وتاريخية، وكثيرا ما كانت تحضر شخصية فاطمة في الرواية بضمير المتكلم الفاعل الراوي المخبر الواصف المحاور..(كنت ، تذكرت ، ذهبت ،اعدت،دخلت،اعرف ،اشعر،نظرت..)، ان هدف عنوان رواية الكافرة كرواية فنية حديثة، يكمن في((كونه عتبة تشخيصية للذات والواقع والمرجع التاريخي والرمزي، تشتمل على عناصر العمل الادبي ودلالاته وتختزله فيها، لما تنماز فيه من اختزال، وتكثيف وتدليل واخبار، واشهار ومجاز وبيان وايحاء .

لقد شكّل "العنوان" في الغلاف نصا سيميولوجيا خطيا واضحا اذ وسم ب" الكافرة" محتلا الجهة العليا من منتصف صفحة الغلاف وباللون الأسود، بعد اسم المؤلف " علي بدر" كالمعتاد في دور النشر الحديثة، التي اعتادت على وضع اسم المؤلف قبل العنوان وفي منتصب الصفحة للإشهار عن أهمية المؤلف ومكانته الأدبية والثقافية او العلمية .ولفظة الكفر بالفتح التغطية . والكافر من الكفر الذي هو ضد الايمان ، والجحود بالنعمة وهو ضد الشكر . والكافر الليل المظلم .وسمي الكافر كافرا لأنه يستر نعم الله . (الرازي، 1980م)

والكافرة في المعنى الإصلاحي الذي عناه المؤلف هو نعت ،لاحدى شخصيات الرواية (فتاة مسلمة لأحدى القرى التي احتلتها الجماعات المسلحة، رفضت ارتداء الحجاب، فاصدر فتوى بقتلها، ونعتها بالكافر)، فحُكم عليها بالموت رجما بالحجارة، وبهذا اخذ "العنوان" سِمتين أولا :سمة الانثوية والثاني: سمة الكفر، كما ان اللفظة وحدها شكّلت علامة لعتبة نصية سيميائية اشهارية ذات دلالة ايحائية مدخلية لقراءة الرواية وإقناع المتلقي، لذلك سُميت الرواية باسمها؛ كون مسألة تكفير النساء مستوحاة من التراث القديم للفكر المتطرف، وهو ما أراد ان يوجه عليه الضوء الكاتب "علي بدر" كصرخة انسانية ضد اللانسانية السلفية تجاه تكفير المخالفين، بما فيهم الفتيات المسلوبات الحرية والإرادة في معظم القرى والمدن التي سيطر عليها المحتلون المسلحون، وشكّل اللون الأسود معنى مضافا الى هذه العتبة النصية، وهو إشارة الى المخالفة والمفارقة والخروج والمروق من ناحية المرسل المتشدد والى الظلم من ناحية المؤلف، اذ ان السواد يشمل دلالة الحزن او الظلم في الوقت نفسه . اما الصورة الايقونية في الغلاف فتمثلت في صورة لفتاة شابة ترتدي زيا إسلاميا أسودا –أيضا– وهو علامة سيميائية لهوية إسلامية متشددة ،بلون اسود يوحي او يشير الى الانتماء الى الجماعات المتشددة التي تداهم ضحاياها في الليل اكثر الأحيان لترهبها .وهي تنظر بعينين سوداويتين نظرة تساؤل وشزر من خلف الخمار الأسود الذي عُد مانعا وحاجزا ومثالا السلوك للسادي الذي مورس ضدها .والذي يمتد فوقه شريط اسود يغطي جبينها تمسكه من كل طرف كفّان تشدانه بايحاء المنع. ويشكّل الجسد الانثوي في الغلاف ((مجالَ التعبير فيما ان الانسان أصلا حضور جسدي في

العالم، فان فضل وجوده يكمن في قدرته على التعبير، من ثمة فان الجسد يُمسرح دائما تعبيريته تلك عبر صور متعددة، فهناك الجسد الصامت كالمظهر الجسدي وتعابير الوجه، وهناك الجسد الحركي، المناضل والممثل،و المسرحي والرياضي.. وهناك الجسد الاجتماعي المسنن، الذي يبدي في العمل اليدوي والحرفي، وهناك أخيرا الجسد الاخباري المتمثل في لغة الصم والعلامات المتبادلة بين البحارة، أي كل جسد ومنطوق ينتج عنه فعل اجتماعي)). (الزاهي، 1999م، الصفحات 27–28)

والغلاف بشكل عام شكّل لوحةَ فنيةَ سيميائيةَ اشهارية لغوشارية، اذ تكّون من عتبان نصية تمثلت في تصنيف الكتاب بالرواية تبعه اسم المؤلف ثم اسم الرواية ثم صورة الكافرة في المنتصف، ثم في اسفل الغلاف من اليمين الطبعة تبعها في الوسط دار النشر ثم لوكو دار النشر لوحة مصغرة جدا لشخص يقود دراجة هوائية. فقد تضمن علامات سيميائية متضادة من حيث الملفوظ او المتصور أي العنوان / الكفارة ، والصورة/ فتاة ذات لباس اسود،اذ ان الصورة بجميع أنواعها المرئية والذهنية والبلاغية قد شكّلت باستمرار ((قناة منها دلالات الجسد وشكلا من اشكال وجوده وتجديده، ولربما لهذا الامر تختزن اللغة العربية هذه العلاقة الاصيلة في ذاكرتها، اذ الجسم والصورة لغة والآن لمدلول واحد والمتن والنص)). (فريد الزاهي ، 1999م، صفحة 9)

وجاء الغلاف بلون احمر واسم المؤلف بلون ابيض، فاللون الأبيض يمثل الحرية والسلام والنقاء والوداعة والطهارة والسلام، على الرغم ان دلالته على الحزن والحداد عند بعض النساء في العصر الاموي، ثم تحول فيما بعد الى اللون الأسود في العصر العباسي ليرمز على الحزن والحداد فصارة سمة خلفاء بني العباس ومن يسكن في قصورهم وقادتهم وعامة الناس كما ذكر ابن الجوزي في كتابه المنتظم ، وهو مضاد للون الأحمر الذي يدل على الانفعال والثورية والدموية او النرجسية أوالملوكية في لباس بعض الأديان كالمسيحية ، يقول "لورانس بوير مير" : ((ان الألوان والمساحات والنغمات الموسيقية والالفاظ، لا تحمل قيما جمالية الا اذا صبغت او رتبت بشكل متميز له معنى ودلالة). (راغب، د. ت، صفحة 66) بل نقول نحن ربما تكسب الألوان والاشياء قدسيتها اوقيمتها الجمالية من خلال درجة قرابتها من الأشخاص/ الذوات/الفاعلين . وكذلك يشكّل اللون الأبيض، تضادا مع اللون الأسود، الذي يدل على الحزن والظلم او الإرهاب في معظم الأديان .فصورة الفتاة مثلت علامة للشخصية المازوخية، التي عذبت من قبل المسلحين الساديين .اما سؤال الرواية الحقيقي، فهو في تلك النظرة التساؤلية التشاؤمية، التي تحمل سمات وعلامات الظلم والعتب، والتعب والحقد، إزاء ما تعرضت له من قبل الاهل او الجماعات المتشددة والمتطرفة، اذ وصفت بالكافرة والجاهل والناقصة واستغلت ابشع استغلال من قبل الجماعات، التي انتهكت حرمتها وصادرت ابسط حقوقها. كذلك شكّل زي الفتاة في الصورة على الغلاف، علامة سيمائية تدل على هوية دينية عقدية متشددة احادية

للفتاة" الكافرة " وهي تريد التحرر من هذا اللباس الذي فرضته عليها الأعراف والتقاليد المتغذية من ادران الماضي غير المنطقي او الإنساني، وهو حجاج راديكالي مغالط ، فاللباس/ الزي هوية اجتماعية رمزية علاماتية ، يعد ((مظهرا للجسد وهو فتنة مثله في ذلك مثل ما يكسوه، فكما ان العادات المتصلة بالجسد تحدد هيمنته الدينية والحضارية، فكذلك العادات المظهرية)) . (الزاهي, فريد، 1999م، الصفحات 93-94)

المبحث الثاني :

الشخصيات السادومازوخية في رواية الكافرة، قراءة سميائية سوسيولوجية.

-الرواية :

لقد حققت الرواية –مؤخرا– تأثيرا واضحا وبالغا في الساحة الأدبية والثقافية العربية والعالمية، من خلال توسّعها النوعي والتقاني والجغرافي في وعينا وحياتنا ومجتمعاتنا ، اذ انها مثّلت((آلة تأدية الزاوية، تتلفظ صورا مقربة رائعة بيد ان مداها محدد. ومن الناحية الأخرى يستطيع المصوّر المحترف أن يركب عدسة ذات زاوية متّسعة داخل آلة تصويره، ويصور مشهدا بانوراميا بأكمله)). (ولسون، 2008، صفحة 74 .) والرواية –بحسب كولن ولسون– هي ((محاولة لأحداث مرآة من المرايا يستطيع الروائي من خلالها رؤية وجهه، وهي –أساسا– محاولة لأحداث الذات وما وصف الواقع او قول الحقيقية الا أهدافا ثانوية واوراق اعتماد الروائي سلطته في الطلب من القارئ، ان يعيره اهتمامه انها غرضه الحقيقي فهو ان يفهم نفسه ويدرك غرضه، وبهذا يكون قد مكّن القارئ من فهم نفسه وادراك غرضه الخاص، ولا يعني هذا القول ان هدف الروائي ليس هو الحقيقية في نهاية المطاف، بل ان هذه الحقيقة لا يمكن تحقيقها في النهاية الا بواسطة تعريف اكثر وضوحا للصورة الذاتية)) . (ولسون, كولن، 2008م، صفحة 241) يقول جولدمان انني أؤكد ان الرواية ((قص نثري طويل يضع اشكال الحياة اليومية الاجتماعية والنفسية في مواجهة الاشكال التقليدية للادب الموروثة عن الماضي ، كلاسيكية او شعبية . الرواية نمط من الادب يشكك في أدبية الخاصة به وهو جوهر نمط مضاد)) . (تودوروف، 1997م، صفحة 129) فمعظم شخصيات، رواية "الكافرة" ، هي دوال تحمل دلالات سادية ومازوخية في الوقت نفسه، فهي في بداية امرها شخصيات مازوخية، يُمارس العنف والإرهاب والتسلط عليها او ضدّها ،وجراءَ ذلك الضغط او التعنيف الجسدي والنفسي ،تتحول الى شخصيات متمردة او ثورية على جلاديها سواء كانوا مجتمعا ام جماعات ام افرادا ام على ذاتا مازوخية فهي بحسب هامون شخصيات اشارية واصلة تتمثل بحضور المؤلف او القارئ او ماينوب عنه بالضمير، فاعلة في التعنيف /سادية ومرة تكون مفعولا فيها وقع عليها التعنيف، أي مازوخية

بخلاف شخصية فاطمة/ صوفي التي مثلت الشخصية الاستذكارية التكرارية عبر التذكر والبوح والحلم والاسترجاع والاعتراف . فالمجتمع المازوخي الذي يخضع للسلطات الفاشستية او الديكتاتورية او الإرهابية القمعية، هو في الوقت نفسه، يمارس سادية مفرطة تجاه الأشخاص الضعفاء او المظلومين او المهجرين او الأقليات او المنبوذين او السوقة او الحرفيين او النساء او الأطفال، فمعظم المجتمعات الاسيوية، تستغل وتحتقر او تعنّف او تقصي الضعفاء والفقراء والمختلفين عنصريا او اثنيا او عقائديا او فكريا ،فتمارس عليهم مختلف أنواع السادية لتجعلهم مازوخيين، وقد يتحولون الى ساديين فيما بعد نتيجة الضغوط السادية عليهم، كما حصل في المجتمع العراقي بعد انهيار النظام السادي فيه، تحوّل معظم المازوخيين المقصيين الى ساديين أيضا على مختلف الشرائح والمجالات.

والمسلحون المتشددون أيضا مثلوا الشخصيات المرجعية التي تستمد وجودها وقيمتها من التاريخ والتراث السلفي ، في الوقت الذي يمارسون فيه الإرهاب الجسدي والنفسي على أبناء القرى والمدن التي احتلوها بسادية سوداوية مفرطة، كانوا مازوخيين تجاه قادتهم السياسيين او العسكريين او العقائديين الراديكاليين، فهم ينصاعون الى اوامرهم بتلذذ تعموي رمزي مقدس .وبهذا شكّلوا دالا سيميائيا يحمل مدلولين احدهما، ظاهري سطحي وهو سادية العنف المتغذي بالعقيدة المغالِطة، ما شكّلت له علامة مرجعية رمزية اسطورية قدسية، واخر باطني مازوخي يعرف من خلال تأويل سلوكيات التنظيم ومرجعياته الثقافية والتاريخية الايديولوجية، وهو قبولهم للانصياع والاذعان، تنفيذا لأوامر قادتهم ..اذن ان عوامل القهر والتخلف والإرهاب السلطوي والمجتمعي، انعكست على صفات ونوعيات ووظائف الشخصيات في رواية الكافرة، لتعبّر عن واقع مرير سوداوي، يعيشه شباب المنطقة العربية، تحت خطابات سيادينية او تراثية ايديلوجية مبطنة مغالِطة منافية للواقع، استغلّت الرموز والشعارات الوطنية والدينية، لتنفيذ مآربها الشخصية، ما ميّز أسلوب الروائي علي بدر، والتي سنذكر بعضا منها؛ بما يتوافق مع سعة وحجم البحث الاكاديمي :

1–سادو مازوخ راضي :

تصف فاطمة زوج أمها السادي" راضي" بقولها :((كان والدي يكن ضغينة كبيرة للحكام ، ويرمي أسباب فقره عليهم. كاد الياس يستولي عليه، وهو يجتر مرارته التي اججها الياس من الصراع ، في بلد يتقهقر كان أي ينتهي الى مخاطبة الجدران في البيت، ذلك ان لا احد يستمع اليه او يستجيب له فضاع في قفار مشاعر الضغينة والكراهية)) (بدر، 2015–2016، صفحة 38)من خلال وصف فاطمة هذا نجد ان "راضي" يشعر بالدونية اسوة بعناصر الجماعات المسلّحة، فالدونية هي ((موقف الانسان المقهور من الوجود، فهو يعيش عاجزا إزاء قوى الطبيعة وغوائلها وإزاء قوة السلطة على مختلف اشكالها، مصيره معرض لأحداث وتغيرات يطغى عليها طابع الاعتباطية،

أحيانا والمجانبة أحيانا أخرى، يعيش في حالة تهديد دائم في امنه وصحته وقوته وعياله يفتقر الى ذلك الإحساس بالقوة والقدرة على المجابهة، الذي يمد الحياة بنوع من العنفوان ويدفع الى الاحترام والمجابهة، فالإنسان المقهور عاجز عن المجابهة)). (حجازي, .مصطفى، 2005م، صفحة 45) وتصف فاطمة/صوفي تذمر " راضي" من موظفي الحكومة بقولها :((ان والدي قلب غضبه نحو الحكومة وموظفيها نحو الحكومة، بسبب اهمالها له ونحو الموظفين، بسبب كبريائهم على أبناء القرى واستعلائهم ، كما ان الفقر والياس جعلا والدي من دون اية عاطفة إزاء الاخرين، ولم تكن لديه اية مشاعر إزاء أي شخص من المحيطين به)) . (بدر, علي، 2015–2016، صفحة 67) وهذا ما أكدته زوجة البغدادي في لقاء تلفزيوني لها على قناة العربية، اذا نجد ان شخصية " راضي" شكّلت علامة مرجعية سيميائية، فارقة كدال يتكون من جسد ذكوري تراثي رمزي فحولي عقدي راديكالي عقائدي، يحمل مدلولين: احدهما يحمل سلوكا ساديا متطرفا مفرطا تجاه الحكومة وموظفيها والمخالفين له عقائديا، ومدلولا مازوخيا تجاه زوجته حين يأوي اليها ليلا كجرو او مع قادته ما جاء اسمه موافقا لسلوكه وعمله، أي انه راض بانتمائه الى الجماعة المسلّحة ،فهو شخصية مرجعية متحولة أيضا .وتصفه فاطمة بقولها : بعد مقتل هذه المراة(الكافرة) لم اعد كما كنت، اخذت انظر الى الأشياء المحيطة بي بنظرة جديدة ولا سيما الى عائلتي التي كانت منخرطة في عملها مع المسلحين حتى نظرتي لوالدي لم تعد كما كانت على الاطلاق. فقد اخذت علاقتي به تتعقد شيئا فشيئا . فهو لم يكن رجلا عاديا ابدا .في عينيه كانت له سحنة غائمة كمل لو ان ظلال أوراق الشجر تغطيها انها ظلال سنوات طويلة من العيش في حقد وفي غضب. كم كان رهيبا اذ كان اعتى المسلحين يكلمه بتذلل ولهذا فوجئت حين سمعت يوما صوته ناعما ومرخما حين يتكلم مع من هو اعلى منه رتبة في التنظيم فشعرت ان هؤلاء الرجال عبارة عن سلسة من الرعب)) . (علي بدر، 2015–2016 ، صفحة 68)

2 –**سادو مازوخ فاطمة/ صوفي:**

–سادو:

كانت شخصية فاطمة في رواية " الكفارة" شخصية اشارية واصلة –بحسب تصنيف فيليب هامون– اذ انها تدل على حضور المؤلف او من ينوب عنه في تنظيم وتوزيع السرد ، فهي شخصيات ناطقة باسمه، قد تكون في بعض المواقف شخصيات استذكارية تنسج العلاقات بين شخصيات الرواية واحداثها، وتعيد اجترار الماضي بالاستذكار والبوع والاعتراف، وتنتقل بالمكان والزمان كذلك عبر تقنية(الفلاش باك) او(الاستباق) الزمني، وهي ترسم مشاهد الرواية كفيلم سينمائي .ويراها "سعيد بنكران" شخصيات إخبارية وصفها "بورب" تستخدم للربط بين الوظائف . بعد

ان تـأثرت "فاطمـة" بمقتـل الفتـاة التـي رجمـت بعـد ان وصـفت بالكـافرة، كانـت تتمنـى ان تكـون كـل الفتيـات كـافرات لكـي لا يـدعنها تمـوت هكـذا موتـة بشـعة اذ تقـول : ((كـان علينـا ان نكـون كلنـا كـافرات ولا نـدعها تمـوت وحـدها)) . (بـدر, علـي، 2015–2016، صـفحة 4) وتصـف تمردهـا علـى والـدتها بقولهـا : ((اخـذت ادافـع عـن نفسـي شـيئا فشـيئا، لأكـون خـارج سـيطرتها لـم اعـد اشـعر بـاني ابنتهـا صـرت اعاديهـا واحقـد عليهـا ..الا ان هـذا لـم يـدم طـويلا فـي زمـن لاحـق شـعرت بأهميتهـا بأهميـة ان اعـود اليهـا فالتحقـت مـرة أخـرى الـى حضـنها..)) . (بـدر, علـي، 2015–2016، صـفحة 85) وعـن صـوفيا بعـد تركهـا لادريـان فـي المستشـفى، يـذكر الـراوي مـاذا جـرى مـن اضـطراب نفسـي انفعـالي لصـوفيا بقولـه : ((لقـد شـعرت بشـكل كامـل بعزلتهـا وفـي المقابـل بـرزت روح انانيـة فـي داخلهـا، بـل كراهيـة لكـل مـن حولهـا كانـت عدائيـة فـي ذلـك المسـاء اخـذت تستحضـر ذكـرى الأيـام مـع ادريـان أيـام الاحتفـالات فـي العـام الماضـي بنـوع مـن الحنـين القاسـي، وكانـت جـذوة الألـم تشـتعل فـي داخلهـا)). (علـي بـدر، 2015–2016، صـفحة 26) فمـن خـلال قـراءة الروايـة، نلمـس ان شخصـية فاطمـة المتحولـة الـى صـوفي تـدور عليهـا الروايـة، لـذلك نعـدّها شخصـية مسـتديرة ، أي رئيسـة ((شخصـية معقـدة متعـددة الابعـاد لا يمكـن التنبؤ بها قادرة على الاتيان بالنظرات المدهشة المقنعة)) . (برنس, جيرالد، 2003، صفحة 172)

–مازوخ :

تصـف فاطمـة حالـة المازوحيـة التـي فرضـها عليهـا العـرف والمعتقـد الاجتمـاعي، وهـي تتصـهر صـاغرة طائعـه لـه بقولهـا : ((فـي البدايـة جعلنـي هـذا الامـر منطويـة علـى نفسـي مبتعـدة قـدر مـا يمكـن عـنهم بعـدها قـررت التـالف معهـم، فانخرطـت فـي حيـاتهم صـرت مـثلهم اتشـبه بهـم فـي الصـياح العـالي، والـركض فـي الشـوارع المتربـة فـي العـراك بالأيـدي علـى اتفـه الأشـياء .....)) . (بـدر, علـي، 2015–2016، الصـفحات 84–85) فقـد شـكّلت فاطمـة علامـة سـيميائية فاعلـة ومفارقـة ،اذ تكونـت مـن دال خـارجي جسـدي لانثـى مـورس ضـدها مختلـف أنـواع الإرهـاب، ومـدلول نفسـي عقـدي اجتمـاعي فرضـه العـرف الاجتمـاعي او العقائـدي كمرجعيـات رمزيـة تراثيـة احاليـة مقدسـة، ومـدلول اخـر كفتـاة مسـلوبة الحريـة والإرادة تمـردت علـى الشخصـية المازوخيـة وصـارت شخصـية سـادية هـي الأخـرى، فـي تعاملهـا مـع مـن اضـطهدها ، ففاطمـة التـي كانـت تتقبـل كـل أنـواع العنـف فـي بيتهـا او الشـارع بصـورة مازوخيـة، لأسـباب مختلفـة فرضـها عليهـا العـرف والعقيـدة والمجتمـع والاسـرة ، مارسـت السـادية انتقامـا مـن والـدها او والـدتها او زوجهـا، الـذي ينتمـي الـى عناصـر المسـلحين او مـن المسـلحين او غيـر ذلـك فمـن المحتمـل ان الـذين عـانوا مـن الوحـدة وشـيء مـن الإهمـال فـي طفـولتهم اكثـر قـدرة علـى تحقيـق الاعمـال العظيمـة مـن أولئـك الـذين يقـابلون فـي طفـولتهم بالحـب والتشـجيع.. وبـدون القـدرة علـى الخلـوة الذهنيـة لـم يكـن لفـي وسـع عبقريـة الانسـان ان تحقـق شـيئا ممـا حققـه مـن امجـاد سـاحقة)). (علـي بـدر ، 2015–2016،

صفحة 20)وبهذا تحوّلت من شخصية مرجعية احالية تنتمي الى المسلحين المتشددين الى شخصية استذكارية، وهي تسرد قصتها لادريان .كما ان اغلب الشخصيات في الرواية شكّلت علامات سيميائية ايقونية مرجعية رمزية احالية بقصدية من المؤلف، لإقناع جمهوره وتوجيه الضوء على ممارسات العنف ضد النساء باسم العرف او العقائد الحجاجية المغالطة .

3-سادو مازوخ ام فاطمة:

-سادو :

لم تكن شخصية ام فاطمة في رواية الكافرة شخصية سادية الى درجة ان السادية قد تشكل علامة بارزة او سمة لصيقة بها كزوجها راضي مثلا ، ولكن هذا لا يعني انها لم تمارس السادية مع نفسها او مع ابنتها فاطمة لتخضعها الى عرف المجتمع او عرف التنظيم المتطرف، فتصف سادية أمها بقولها :((كانت تنهرني لم تكن تقبل ان افعل هذا ابدا، امي الحزينة دائما باكية ابدا الشاكية من كل شيء، لا تحب الضحك او المزاح..)). (علي بدر ، 2015-2016، الصفحات 18-19)

--مازوخ:

يمكن ان نصف شخصية ام فاطمة/ شخصية مازوخية متسقة في معظم حياتها،(عندما لا تتناقض صفاتها مع افعالها او غير منسجمة مسطحة (بسيطة ذات بعدين قليلة السمات، يمكن التنبؤ بسلوكها ببساطة)، فتصفها فاطمة بقولها :((ان امي لا تحب المزاح ابدا ، انها تكرهه، امي لا تحب الضحك سفاهه)) . (علي بدر ، 2015-2016، صفحة 19) وتصفها أيضا في موقع اخر من الرواية كعلامة مازوخية : ((اما امي فكانت اسفل هذه الطبقات (طبقات المخيفين من المسلحين) حين تتكلم مع ابي فأنها تدمدم بهمهمة غير مفهومة ،صوتها يأتيك خفيضا كما لو كان قادما من مكان ناء .ان يطلب منها شيئا فأنها لن تقول له سوى : " تحت امرك"... لقد أمضت امي حياتها باحثة في قاموسها عن اكثر الكلمات ملاءمة لمخاطبته...لقد استبعدت من ذهنها جميع الكلمات الجافة، واستخدمت معه كل الكلمات الشديدة ولم تستخدم معه الكلمات الباهتة، والتي تقدم وعودا باطلة او خاوية ..مستخدمة جميع المعارف لإسعاده حتى تلك التي اشترتها بآلامها ومعاناتها . مع ذلك كان الخوف يشلها نعم كانت -على الدوام – خائفة .)). (علي بدر ، 2015-2016، الصفحات 61-62) وتصف شخصيتها الاستسلامية المازوخية أيضا بقولها : ((لقد خالفت الصورة التي وضعتها هي نفسها عن الزوج الذي تريد، ووافقت على إقامة راضي في منزلها بالرغم من انه لم يكن يتفق في شيء مع صورتها للزوج النموذجي، كان ذلك الشيء هو اهون الشرور بالنسبة اليها لم يكن سيئا معها اذا اذلها في الليل، فانه يقترب منها في الصباح مثل جرو، ولكن بعد مقتل ابنه صار

يـذلها بعنـف وضـربها بقسـوة فاحشـة)). (بـدر, علـي، 2015–2016، صـفحة 93) وسـبب ذلـك الازدواج والتنـاقض والتضـاد فـي معاملـة راضـي لام فاطمـة مـا بـين الليـل والنهـار، هـو كـون الجسـد الانثوي يشكل معطى اولي ((انـه موضـوع يشـكل منبـع الحيـاة والحركـة والفعـل والـوعي، وهـو مكتسـب قبلـي سـابق علـى كـل روح وباعتبـاره معيارنـا الأول فـي الوجـود، فهـو يشـكل مركـز الكـون ومقاسـه الضـروري)). (فريـد الزاهـي، 1999م، صـفحة 27) فشخصـية ام فـاطم، شـكّلت علامـة سـيميائية سـادومازوخية، يمـارس زوجهـا راضـي ابشـع أنـواع السـادية ضـدها–كـدال جسـدي انثوي ظـاهري خـارجي– فهـي تتصـرف معـه بكـل مازوخيـة؛ حفاظـا علـى حياتهـا او شـرفها مـن المسـلحين او حفاظـا علـى ابنتهـا فاطمـة مـن جانـب، ومـن جانـب اخـر هـي قبلـت كـل أنـواع الإرهـاب والـذل، لكـن ذلـك لا يعفيهـا مـن ان تمارس هي الأخرى دور السادية تجاه فاطمة في البيت او الشارع.

4–سادومازوخ الجنس عند المسلحين :

–سادو جنسي:

ان التفكيـر فـي الجسـد مـرتبط بشـكل كبيـر ((فـي التفكيـر فـي الـذات والهويـة، وبهـذا المعنـى فـان فكـر الجسـد يـرتبط ضـرورة بالحداثـة الفكريـة والثقافـة وبـالأخص بجوانيهـا الأكثـر ابتعـادا عـن العقلانيـة سـواء كانـت ديكارتيـة او منطقيـة تحليليـة)). (الزاهـي, فريـد، 1999م، الصـفحات 26–27) والمسـلحون المتشـددون بسـب حرمـانهم الجنسـي المتـأتي مـن المنـع والتحريـب العقائـدي، الـذي تسـبب فـي الكبـت الجنسـي والازدواج الشخصـي والتنـاقض السـلوكي ، مـا ان يـرون ((أحـدا لـه زوجـة جميلـة حتـى يتهمونـه بـالكفر والـردة، بعـدها يـتم قتلـه ومـن ثـم يسـتولون علـى اثـاث منزلـه ،ويحملـون زوجتـه الـى المنـزل الكبيـر لينـام معهـا احـد المسـلحين ثـم يبيعهـا لأخـر)). (فريـد زاهـي ، 1999م، صـفحة 95) فـالانحراف الجنسـي لـدى المسـلحين المتشـددين المـزدوجين والمتحـولين ((دافـع غريـزي جزئـي مصـدره اللبيـدو والعـدوان، يـدخل أصـلا فـي تكـوين الفعـل الجنسـي السـوي –الاتصـال الجنسـي بأحـد افـراد الجـنس الاخـر ومـا يصـحب ذلـك مـن مقـدمات، ولكنـه دافـع اسـتقل بذاتـه وحـل محـل الفعـل الأصـلي واصـبح بـذلك الوسـيلة الوحيـدة للإشـباع الجنسـي ..ثمـة علاقـة وثيقـة بـين الانحرافـات الجنسـية والامـراض النفسـية، فـالمرض النفسـي كمـا يقـول فرويـد–هـو الصـورة السـلبية للانحـراف ومـن ناحيـة نظريـة اللبيـدو، تـدل الانحرافـات الجنسـية علـى تغييـر يطـرا علـى السـير السـوي للنمـو الجنسـي مـن حيـث الموضـوع الجنسـي (الشـخص الـذي يصـدر عنـه الجـذب الجنسـي) ومـن حيـث الهـدف الجنسـي (الفعـل الـذي ترمـي اليـه الغريـزة)) . (فرويـد، صـفحة 119) وتصـف انحـرافهم الجنسـي وازدواجهـم السـلوكي وتناقضـهم العقيـدي بقولهـا : ((بعـد مقتـل ابـي لـم يكـن امـام امـي الا التـزوج مـن شـخص اخـر فبعـد دفنـه صـار الكثيـر مـن أصـحابه يطاردهـا لـم تكـن امـي تـرى فـيهم سـادة محتـرمين ، لـم تقبـل أي شـخص تحـت سـقف

منزلها...قالت لي امي : ما ان مات زوجها حتى اندفع الجميع نحوها كل واحد منهم يريد مضاجعتها برضاها او بالرغم منها لذا فانها قبلت براضي راضي هو الأكثر فشلا بين الجيران كان سكيرا ومقامرا)) . (علي بدر ، 2015–2016 ، الصفحات 92–93) ان علامة الازدواج والتحول والتحلل وعدم الاتزان النفسي والجسدي التي انمازت بها الشخصية السادومازوخية الجنسية لدى المسلحين المتطرفين ، تشعرهم في عقدة العار والنقص لتحميل المرأة اخطاءهم ، اذ ان ((الرجل المقهور يسقط العار أساسا على المرأة، المرأة العورة أي موطن الضعف والعيب ،بسبب هذا الاسقاط يربط شرفه وكرامته كلّها بأمر جنسي ليس له أي مبرر من الناحية البيولوجية المحض، ونعني الحياة الجنسية للمرأة)). (مصطفى حجازي، 2005م ، صفحة 47)

5–سادومازوخية الانتحار :

لقد شكّلت ثيمة القتل/ سادو سيكولوجي استشفائي انتقامي ، وثيمة الانتحار/ مازوخ خلاصي او تطهري لعناصر المسلحين المتطرفين في رواية الكافرة ، فالمسلحون يوغلون في قتل المخالفين لهم بسادية مفرطة في الوقت الذي يمارسون فيه مازوخية الانتحار وهذه مفارقة وشيزوفرينة غريبة اشارت اليها الرواية بعد ان فسّرها علم النفس والاجتماع بعملية التطهير النفسي والجسدي، والذوبان في عالم الملكوت بعيدا عن ظلم وإرهاب وسادو الدنيا ، كما تذكر فاطمة حادثة انتحار والدها راضي بمازوخية تطهيرية : ((والدي انتحر في يوم ميلادي ..انا خائف انا خائف ..)) . (علي بدر ، 2015–2016 ، صفحة 77) وذكرها لحادثة انتحاره أيضا بقولها : ((الانسان هو الوحيد الذي يمكنه ان يقتل الاخرين، لانهم يؤمنون بأفكار لا يؤمن بها او لان عليهم ان يؤمنوا بأفكار يؤمن ويعتقد هو بها، فتوجب قتلهم ارتدى في يوم حزامه الناسف(راضي) واختفى من حياتنا الى الابد ..)) . (بدر, علي، 2015–2016، صفحة 72)وسردها لما سمعته من ادريان عن حادثة انتحار والده بصورة تطهيرية أيضا، كما تسرد عنه :((ان والد ادريان أراد الانتقام لمقتل عائلته، فالتحق بمليشيات مسيحية هذه المليشيات ارتكبت مجزرة بعائلات المليشيات الأخرى، ثم هرب والده من لبنان وجاء الى أوسلو، ولكنه لم يستطع التخلص من صور الحرب وبشاعة الاحداث، فمرض بالشيزوفرينيا وبعد فترة قصيرة انتحر)). (بدر, علي، 2015–2016، صفحة 81) وهذا ما ذكّرها بمحاولتها للانتحار، هربا من سادية الماضي بصورة مازوخية أيضا، اذ تقول : ((تذكرت صوفي انها جربت الانتحار يوما ما حينما وصلت بروكسل، مرّت بمرحلة يائسة مطلقة، فقررت ان تنهي حياتها بيدها استيقظت في الصباح على هذا القرار الخطير ونفذته)) . (علي بدر ، 2015–2016 ، صفحة 81)

الخاتمة :

1–شكّلت رواية الكافرة علامة فارقة من بين روايات ما بعد 2003 في العراق بصورة خاصة والوطن العربي بصوة عامة ، لما تناولته من ثيمة وظاهرة سوسيلو جية سيادينية، تهم مجتمعاتنا العربية والإسلامية ،فهي رسالة واضحة للتنبيه الى هذه الظاهرة(السادومازوخية السيادينية)، لذلك نعدها من روايات تيار الوعي التي تناولت مفردتين نفسيتين في علم النفس والاجتماع.

2–مثّلت الرواية تجليا سرديا نوعيا في مجال الرواية المعاصرة، لما تميزت به من تقانات سردية، بخاصة " الفلاش باك" والتنقّل الزمكاني والتحوّل السيكلوجي ،والتسجيل التاريخي التراثي، والمشاهد الفيليمية السينمائية المميزة في تقانات الوقف والسرد والحوار الداخلي والخارجي، التي وظفها الكاتب في سرد احداث روايته وتوزيع المهام والوظائف على شخصياته، مع إضفاء السمات الظاهرية والباطنية كدوال لعلامات ظاهرة وعميقة مؤولة.

2–شخّصت الدراسة الحالة السيكولوجية والسيسيولوجية للمجتمعات العربية، التي تعرّضت الى السادومازوخية نتيجة الضغوطات السلطوية عليها، وهي الهدف الذي من اجله الفت الرواية .

3– بيّنت الدراسة ان الشخصيات السادية ذاتها كانت مازوخية، وكذلك الشخصيات المازوخية اصبحت سادية فيما بعد ،بحسب الظروف التي تمر فيها، بهدف الانتقام للذات المهّمشة او المضطهدَة.

4–ميّزت الدراسةُ الفارق في التعامل ما بين حكومات وشعوب الشرق وحكومات وشعوب الغرب، التي عدّت منفى للهاربين من بطش السلطات والجماعات الشرقية الراديكالية الشوفينية، وهو ما أراد المؤلف كشفه.

5–فسرت الدراسة لحالة الشخصيات المازوخية بانها، نوع من أنواع التكيف المفروض والطارئ عليها؛ كي ننسجم مع المحيط الغالب او القاهر او المتسلط، فتخضع لاتباع الشروط والقوانين والتقاليد والأفكار والسلوكيات التي تفرض عليها خلال الازمات غير الطبيعية.

6–وجدت الدراسة ان الشخصيات السادومازوخية، تمارس سلوكين او دورين الأول: مازوخي تكييفي يؤدي نتيجة الضغط المتوالي الى تبني الدور الثاني المتولد من الأول وهو، السلوك العدواني الأكثر إيذاء واضرارا بالأخر، لتعويض النقص والحرمان والقهر والظلم، الذي كان تعاني منه الشخصية خلال فترة المازوخية القهرية، فهي ردّة فعل للأولى .

7–ان الافراط في العنف والتعنيف من قبل الشخصية السادية، بسبب غريزة الملكية الانانية الشهوانية، المنفلته بالاثارة الشيطانية باتجاه الاعمال العدوانية.

8–ان الكبت الذي تعرضت له كل شخصيات الرواية ،هو السبب الرئيس وراء تبنيها للسادومازوخية ،ومن هذا الكبت ينبع ما يسمى بالأدب والحب المريض، نتيجة الالام والحرمان، والعذاب والتابوهات الاجتماعية او السيادينية القاسية .

المصادر والمراجع :

.مصطفى حجازي. (2005). *التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكلوجية الانسان المقهور .*

:جيرالد برنس. (2003). *قاموس السريدات تر : السيد امام ،ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة /مصر : 30.*

الخازن, منير وهيبة. (د. ت). *كتاب : معجم مصطلحات علم النفس.*

الزاهي, فريد. (1999م). *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام.*

الزاهي, فريد. (1999م). *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام :.*

اوائيله, رولان بورنوف وريال. (1991م.). *عالم الرواية، تر: نهاد التكرلي،مرجعة: فؤاد التكرلي، محسن الموسوي،، افاق عربية ،ط1.* بغداد / العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

بدر. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة ،دار منشورات البحر المتوسط، ط1،ط2،ميلانو/إيطاليا، : الغلاف.*

بدر, علي. (2015–2016). *الكافرة:.*

بدر، علي. (2015–2016). *الكافرة ، دار منشورات البحر المتوسط، ط1،ط2،ميلانو/إيطاليا، : الغلاف.*

برنس, جيرالد. (2003). *قاموس السرديات :.*

تودوروف ، كنت بنيت كلر، كوهن شولز ، اوشر ماي ، جولدمان ، فوكو. (، 1997م). *لقصة الرواية المؤلف ،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة :تر : د. خيري دومة ، مراجعة : أ.د. سيد البجاوي ، ، ط1،*. القاهرة / مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع.

تودوروف ، كنت بنيت كلر، كوهن شولز ، اوشر ماي ، جولدمان ، فوكو. (1997م). *لقصة الرواية المؤلف ،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة،تر : د. خيري دومة ، مراجعة : أ.د. سيد البجاوي ، ، ط1.* القاهرة / مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع.

تودوروف. (1997م). *دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة :، كنت بنيت كلر، كوهن شولز ، اوشر ماي ، جولدمان ، فوكو ، تر : د. خيري دومة ، مراجعة : أ.د. سيد البجاوي ، ط1.* القاهرة / مصر : دار شرقيات للنشر والتوزيع.

جميل حمداوي. (2020 م). *سيموطيقا العنوان : ، ، ط2، .* المملكة المغربية: دار المعارف والنشر الالكتروني.

حجازي, .مصطفى. (2005م). *التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكلوجية الانسان المقهور.*

حمداوي, جميل. (2020 م). *سيموطيقا العنوان.*

د. نبيل راغب. (د. ت). *النقد الفني ، د.ط. .* القاهرة/ مصر: مكتبة مصر للطباعة.

د.مصطفى حجازي. (2005م). *التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكلوجية الانسان المقهور.* لمركز الثقافي العربي ،ط9، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت / لبنان.

رولان بورنوف وريال اوائيله. (1991م). *عالم الرواية :تر: نهاد التكرلي،مرجعة: فؤاد التكرلي، محسن الموسوي،، افاق عربية ،ط1، ب ،.* غداد / العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

سيجموند فرويد. (بلا تاريخ). *الموجز في التحليل النفسي : ، تر : سامي محمود علي ، عبد السلام القفاشي، مهرجان القراءة للجميع .* القاهرة/ مصر : مكتبة الاسرة.

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة.*

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة .*

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة .*

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة* .

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة* .

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة* .

علي بدر . (2015–2016). *الكافرة* .

علي بدر. (2015–2016). *الكافرة.*

علي بدر. (2015–2016). الكافرة.

علي بدر. (2015–2016). *الكافرة* .

فريد الزاهي . (1999م). *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام.*

فريد الزاهي. (1999م). *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام* .

فريد الزاهي. (1999م). *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، دون ط،* . المغرب: افريقيا الشرق.

فريد زاهي . (1999م). *الجسد والصورة والمقدس في الإسلام* .

قاموس السرديات. (2003).

كولن ولسون. (2008). *فن الرواية : :تر :محمد درويش، ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ،ط1، .* بيروت/ لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي. (1980م). *،، د.ط، الكويت، 573/2.:.:.* دار الرسالة.

مصطفى حجازي. (2005م). *التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكلوجية الانسان المقهور* .

منير وهيبة الخازن. (د. ت). *كتاب : معجم مصطلحات علم النفس :، ، د.ط، : 130.* دار نشر للجامعيين.

ولسون, كولن. (2008م). *فن الرواية :.*

المصادر والمراجع :

- التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكلوجية الانسان المقهور :د.مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ،ط9، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت / لبنان 2005م .

- دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة : تودوروف ، كنت بنيت كلر، كوهن شولز ، اوشر ماي ، جولدمان ، فوكو ، تر : د. خيري دومة ، مراجعة : أ.د. سيد البجاوي ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة / مصر ، 1997م .
- سيموطيقا العنوان : جميل حمداوي ، دار المعارف والنشر الالكتروني ، ط2، المملكة المغربية ، 2020 م.
- عالم الرواية:رولان بورنوف وريال اوائيله:تر: نهاد التكرلي،مرجعة: فؤاد التكرلي، محسن الموسوي،دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية ،ط1، بغداد / العراق ، 1991م.
- فن الرواية : كولن ولسون :تر :محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون ، مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم ،ط1، بيروت/ لبنان : 2008م.
- قاموس السريدات :جيرالد برنس : تر : السيد امام ،ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة /مصر
- قصة الرواية المؤلف ،دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة : تودوروف ، كنت بنيت كلر، كوهن شولز ، اوشر ماي ، جولدمان ، فوكو ، تر : د. خيري دومة ، مراجعة : أ.د. سيد البجاوي ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة / مصر ، 1997م .
- الكافرة: علي بدر،دار منشورات البحر المتوسط، ط1،ط2،ميلانو/إيطاليا، 2015–2016 : الغلاف.
- مختار الصحاح : حمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ،دار الرسالة، د.ط، الكويت، 1980م .

الجسد والصورة والمقدس في الإسلام : فريد الزاهي ، افريقيا الشرق ، دون ط، المغرب ، 1999م

معجم مصطلحات علم النفس :منير وهيبة الخازن ، دار نشر للجامعيين ، د.ط، د. ت.

- الموجز في التحليل النفسي : سيجموند فرويد ، تر : سامي محمود علي ، عبد السلام القفاشي، مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الاسرة، القاهرة/ مصر .
- النقد الفني :د. نبيل راغب ، مكتبة مصر للطباعة ، القاهرة/ مصر ، د.ط. د. ت.